أصداء الثورة الجزائرية في جريدة البعث

نماذج من المقالات المنشورة عام 1956



بدأت صحيفة البعث نشرة سرية تُحَرر بخط اليد إلى أن صدر العدد الأول منها في اليوم الثالث من شهر تموز/ جويلية عام ١٩٤٦، وهي تمثّل التيار القومي العربي، كما تنطق باسم حزب البعث العربي الذي طرح شعارات: وحدة، حرية، اشتراكية.

صدرت صحيفة البعث أول ما صدرت يومية بأربع صفحات كبيرة، ولم يكن يعمل فيها محررون محترفون، بل كان جميع الحزبيين يسهمون في تحريرها وإصدارها وتوزيعها أيضاً، وقد جاء في افتتاحية العدد الأول التي تحمل عنوان: «بذور البعث» مايلي:

«لقد حيل بين (البعث العربي) وبين حقّه في إصدار صحيفة تنطق باسمه مدة ثلاث سنوات كاملة، وهاهو اليوم يصدر صحيفة البعث، بعد أن أصَرت الحكومة على أن لا تسمى (البعث العربي) ونريد أن نربح كلّ الناس وأن تعمّ فكرتُنا جميعَ أفراد أمتنا، ولكننا نعرف أن ذلك لن يكون الآن، ولن يتم بغير مشقّة، إننا نتطلّع إلى المستقبل، ونعمل له، ومن أجل ذلك نضحّي بالحاضر ونظفر عليه..

إن الأمة مازالت تنتظر الذين يخاطبونها بصدق وبساطة وثقة ومحبة. وما نحسب الذين يصانعونها ويخادعونها مستكثرين عليها قول الحقيقة»(١)..

يتّضح من خلال هذا التوجّه الذي عبّرت عنه الافتتاحية والذي يعكس موقف الحزب أن الخطّ العام للصحيفة هو معارضة النظام الحاكم، والعمل على تثبيت مبادئ الحزب ونشرها في أوسع الأوساط من جماهير الشعب. ولم تخل الافتتاحية من نبرة تحدٍ للنظام واضحة في هذه الجملة: «نريد أن نربح كل الناس، وأن تعمّ فكرتنا جميع أفراد أمتنا»..

هذا الموقف المعارض سبّب عدم انتظام صدور الصحيفة، كما أدّى إلى تعطيلها مرات عدة، ولم يصدر منها في عامي (١٩٥٤-١٩٥٥) سوى خمسة عشر عدداً في ثلاثة منها بعض الأخبار عن الجزائر.

عندما كانت الصحيفة تصدر يومية كان مديرها المسؤول صلاح الدين البيطار وكان مديرها السياسي ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث العربي. أما مساحتها فكانت (٥٨ × ٤٤) أي ٢٥٥٢سم[٢]. وكان صاحب الامتياز عادل السعدي.

خصّصت الصحيفة الزاوية اليمنى من أعلى الصفحة الأولى للعنوان «البعث» وتحته تعريف بها: جريدة البعث العربي، وفي استمرار الزاوية إلى الأسفل خصّص مكان الافتتاحية التي لم تكن ثابتة زمنياً..

---

(١) صحيفة البعث، العدد الأول، دمشق ، تاريخ ١٩٤٦/٠٧/٠٣.

وعلى الصفحة نفسها من الجهة اليسرى ومن الأسفل عمود ثابت (قاري) يحمل عنوان: «من البلية ما يضحك»، وفي محتواه صور من النقد الساخر للنظام والأوضاع الاجتماعية، أما بقية الصفحة فتتناول أهم الأخبار العالمية وكذلك أهم الأخبار المحلية.

وتختص الصفحة الثانية بالشؤون الداخلية، من أحداث المجتمع وأخبار الدولة، مع ربط تفسيري للعلاقة بين النظام والأوضاع الداخلية للوطن.

على أن الصفحة الثالثة تكاد تقترب من الصفحة الأولى في توجّهها نحو الأخبار العالمية وقضايا العالم بشكل عام والقضايا العربية بصورة خاصة، بالإضافة إلى أقوال الصحف الأخرى بين الحين والآخر.

ومن الملاحظ أن الصحيفة لم توظّف خطاطين يهتمون بكتابة العناوين الكبيرة والعناوين الفرعية. كل الكتابة كانت بالأحرف المطبعية، مع إخراج تلقائي وبسيط.

كذلك لم تستخدم الصحيفة الصورة كنوع صحافي. ولم يظهر الاهتمام بالصورة إلا في وقت متأخر، وبدءاً من الشهر السادس لعام ١٩٥٤.

يتكرر عنوان الصحيفة بخط هندسي على الزاوية اليمنى للصفحة الرابعة التي خصّصت لتتمة المقالات والأخبار، وما ندر للإعلانات، التي لم تتعد بعض الأفلام السينمائية التي تعرض في صالات دمشق، وكذلك يانصيب معرض دمشق الدولي.

وهكذا استمرت صحيفة البعث إلى أن طرأ التغيير الرئيسي عليها عام ١٩٥٦، حيث بدأت تظهر أسبوعياً، وبثماني صفحات وبمقياس (٥٨× ٤٤) أي من الحجم الكبير. وظهرت الصورة كنوع صحافي كما ظهرت آثار الخطاطين في كتابة العناوين الكبيرة والفرعية.

جاء العدد الأسبوعي الأول بتاريخ (١٩٥٦/٤/٢٠) يحمل اسم صحيفة البعث في الزاوية اليمنى نفسها من الصفحة الأولى وإلى جانب الاسم في إطار دائرة باللون الأخضر، شعار الصحيفة «أمة عربية واحدة – ذات رسالة خالدة»، وقد استعمل اللون الأخضر في الصفحة الأولى فقط. وظلت الافتتاحية تحت اسم الصحيفة مباشرة وكانت تحمل عنوان: «تسلّح العرب ضمانة للسلم»، وكان إلى جانب الافتتاحية خبر مفصّل تحت عنوان: «أنباء الوطن العربي في أسبوع». هذا الخبر المفصّل يتناول الأحداث في الجزائر ممهداً لها بالعنوان التالي:

مقاطعة فرنسا قيد الدرس، والشعب العربي في الجزائر تُبيده جيوش فرنسا والحلف الأطلسي، مبادرة المقاطعة جاءت من سورية والعراق.

أما ما يلاحظ في هذا العدد فهو بعض التغيّرات التي أُدخلت على تبويب الصفحات باعتبار أن الصحيفة راحت تصدر بثماني صفحات كما أشرنا.

ففيما يتعلق بالصفحة الأولى والثانية لم يحدث تغيير يذكر إذ ظلت الصفحة الأولى كالسابق تتناول الأنباء العالمية الهامة والعربية والمحلية، وظلت الصفحة الثانية للشؤون الداخلية.

وجاء التغيير في الصفحة الثالثة إذ خصصت للبحوث الإيديولوجية وبصورة خاصة في «القومية»..

والجديد في الصحيفة تخصيص الصفحة الخامسة للآداب والفنون، والسادسة لدراسة الشخصيات السياسية المشهورة، وكذلك للتعليقات في السياسة العالمية.

وأما الصفحتان الأخيرتان السابعة والثامنة فقد بقيتا لنشر تتمات المقالات، والأخبار والأحداث، التي وردت في الصفحات السابقة.

يبين العناوين التي استخدمتها صحيفة البعث في مادتها حول الثورة الجزائرية

الرقم	نص العنوان	رقم العدد	تاريخ العدد
١	فرنسا تحرم أبناء المغرب العربي من العلم	٠٣	١٩٥٦/٠٥/٠٤
٢	هذا ما تفعله فرنسا بشعبنا في الجزائر	٠٣	// //
٣	الجزائر في معركتها السياسية	٠٤	١٩٥٦/٠٥/١١
٤	كارثة ككارثة الهند الصينية تنتظر الاستعمار الفرنسي في الجزائر	٠٥	١٩٥٦/٠٥/١٨
٥	ماذا ترك الحكم الفرنسي في الجزائر	٠٥	// //
٦	خطر الإبادة في الجزائر	٠٦	١٩٥٦/٠٥/٢٥
٧	أمريكا تشحن الأسلحة للجيش الفرنسي في الجزائر ، والحكومة السورية تؤمنه بالحبوب	٠٧	١٩٥٦/٠٦/٠١
٨	دور معركة الجزائر في نضالنا القومي الإنساني	٠٨	١٩٥٦/٠٦/٠٨
٩	لا رجوع ولا تراجع	٠٩	١٩٥٦/٠٦/١٥
١٠	فرنسا بين الدم والفلوس	١١	١٩٥٦/٠٦/٢٩
١١	أسرعوا بحل قضية الجزائر	١٢	١٩٥٦/٠٧/٠٦
١٢	إعدام فدائي بالمقصلة	١٣	١٩٥٦/٠٧/١٣
١٣	الثورة الجزائرية فلسفة في النضال	١٦	١٩٥٦/٠٨/٠٣
١٤	الشعب المستميت في سبيل حريته سيقضي على الاستعمار الفرنسي	١٧	١٩٥٦/٠٨/١٠
١٥	حرائق مبيدة ومصرع ثلاثين فرنسياً	١٨	١٩٥٦/٠٨/١٨
١٦	التجارب التي مر بها العمل الثوري في الجزائر	٢١	١٩٥٦/٠٩/٠٧
١٧	قضية الجزائر والحلول العقيمة	٢٤	١٩٥٦/٠٩/٢٩

استخدمت صحيفة البعث كل الأنواع الصحافية في اتجاهين في مادتها الإعلامية الخاصة بالثورة الجزائرية، الأول يتحدث عن أخبار المعارك العسكرية، والثاني يتناول القضايا السياسية. ويبين لنا الجدول رقم (٧) أن الأخبار العسكرية تكررت ست عشرة مرة من مجموع واحد وثلاثين أي بنسبة مئوية قدرها ٥١.٦١% ، وتكررت المادة الإعلامية السياسية خمس عشرة مرة أي بنسبة ٤٨.٣٩% والنسبتان كما هو ملاحظ متقاربتان جداً، لكن الذي غاب عن المادة الإعلامية تماماً هو المجال الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، وهذه المجالات كلها كانت تلتصق بالثورة الجزائرية.

وهكذا يتضح أن صحيفة البعث قد ركّزت كل اهتمامها على الجانبين العسكري والسياسي. وليس هذا مستغرباً إذ إن كل الصحف السورية اهتمت بهذين الجانبين وهو ما أشرنا إليه عند دراستنا صحيفة المنار، وأوضحنا أنهما كانا يمثلان الثقلين الأساسيين للثورة الجزائرية أمام الرأي العام المحلي والرأي العام العالمي.

٣ – ٨ التحليل النوعي:

انطلقت صحيفة البعث في معالجتها الإعلامية للثورة الجزائرية من أعماق عقيدة حزب البعث العربي، وهي أن العرب جميعاً أمة واحدة، وأن مصيرهم واحدٌ أينما كانوا. وقد رسّخت هذا التوجه في خطابها الإعلامي واستمرت عليه. وقد تميز مضمون الإعلام الذي مارست نشره بثلاثة أنواع من الإنتاج الإعلامي:

الأول: إنتاج هيئة التحرير للصحيفة.

والثاني: ما قدمه ممثلو الثورة الجزائرية في سورية.

والثالث: ماجرى ترجمته عن اللغة الفرنسية إلى العربية، وهي ميزة خاصة بالصحيفة. وكان الهدف من هذه الترجمة تنويع عرض القضية الجزائرية،

وتكثيف المعلومات عنها أمام القارئ العربي لا سيما وأن الصحيفة كانت تضم عدداً غير قليل من الحزبيين الذين درسوا في فرنسا، وأتقنوا اللغة الفرنسية.أمثال صدقي اسماعيل وصلاح البيطار وميشيل عفلق.

وقد استقر مضمون المادة الإعلامية في هذه الأنواع الثلاثة على أربعة محاور:

١ – تعرية الاستعمار الفرنسي.

٢ – تأكيد الهوية العربية لشعب الجزائر.

٣ – مكانة الثورة الجزائرية.

٤ – انتقاد الأنظمة العربية.

٣ – ٨ –١ تعرية الاستعمار الفرنسي:

ركزت الصحيفة بقوة على همجية المستعمرين الفرنسيين ووحشيتهم، ومحاولتهم بكل أنواع الإرهاب قتل الروح القومية في الجزائر فكتبت: «جنود الاستعمار الفرنسي الذين يقفون أمام جثث الضحايا الأبرياء وقفة تشف وحذر، بعد أن نكلوا بهم، وجوه جبانة لم تقو على الصمود في وجه المناضلين الذين أذاقوهم الهزيمة فلجأوا إلى أحط ما عرفه العالم من وسائل التشنيع في النساء والأطفال والمدنيين، لقد أفرغ الاستعمار قلوبهم من كل شعور إنساني وملأها بالخسة والغدر»(١).

ولقد أصابت الصحيفة عمق الاستعمار الفرنسي عبر تصوير جدلي استلهم تعابيره من كينونة الإنسان المتضادة، كينونة إنسان الشعوب المظلومة، وكينونة الإنسان الظالم، فقد أضاءت رموز الخير والكرامة الإنسانية في الشعب الجزائري، وأحرقت رموز الشر كلها في الإنسان المستعمر، «إنَّ شعبنا في

---

(١) صحيفة البعث، العدد الثالث، تاريخ ١٩٥٦/٠٥/٠٤، ص١.

الجزائر حين كشف عن خير ما في الإنسان، أكْرَهَ أعداءه على أن يكشفوا عن أحطِّ مافي الإنسان، فكانت المعركة أكثر من معركة شعب يستخلص وجوده وحريته الإنسانيتين قطرة قطرة، إذ انقلبت إلى معركة بين الخير والشر. معركة استعلت على الزمان، هي اليوم موضوع تأمل، لا موضوع معاناة حية، الجسد الإنساني أحدُ أدواتها»(١).

نفهم من هذا الموقف أن الصحيفة تنظر إلى صراع الثورة الجزائرية مع الاستعمار الفرنسي على أنه صراع روحي بين منظومة القيم الخيرة للشعب الجزائري، ومنظومة قيم التدمير الإنساني التي تجسد فيها المستعمرون الفرنسيون. وقد أصبح هذا الصراع تاريخياً مع مرور السنين، ولذلك فالصورة هي كما توضح الصحيفة، أنه «كما لم يمتحن الإنسان الحي مثلما يمتحن أخوة لنا في الجزائر فكذلك لم تمتحن الإنسانية كلها، ضميرها وحقيقتها، مثلما تمتحن الآن في موقفها من ثورة الجزائر»(٢).

ونجد تفسيراً لهذه الصورة فيما نشرته الصحيفة من دراسة للطلاب الجزائريين في فرنسا، فقد جاء في توصيف أحوال الشعب الجزائري هذه الحقائق الدامغة التالية:

١ - إلى جانب الثروات الأسطورية التي يجنيها المستعمرون الفرنسيون في الجزائر، فإن الشعب الجزائري يجد ضروباً من البؤس يصعب وصفها، فمستوى الحياة لدى الجزائريين هو أدنى مستوى في العالم وثلاثة أربا ع هؤلاء محرومون من الحليب، واللحم، والبيض والمواد الدهنية..

٢ - نقص التغذية حالة مزمنة، وأكثر المسلمين في المدن مرغمون على العيش في بيوت من التوتياء، أما في الأرياف فهم إما في القباب المغربية أو في كهوف تحت الأرض. وحركة اغتصاب الأراضي ماضية إلى الأمام.

---

(١) صحيفة البعث، العدد /٢٨/ تاريخ ١٩٥٦/١٠/١١، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه.

٣ – انتشار مرض السل والتراخوما، وعدد المصابين بالسل لا يقل عن أربعمئة ألف مسلول. كما أن نسبة موت الأطفال من المسلمين تقرب من ٥٠%(١).

وتظل صحيفة البعث تتبع جرائم المستعمرين الفرنسيين وتندّد بهم وبوحشيتهم، وتخاطب العالم: «ما نظن أن شعباً غير شعبنا في الجزائر عانى مثل هذه الويلات، وهو في ظلمات السجون تحت ما لا يطاق من العذاب يثبت وجوده بالفعل.

إن من حق هذا الشعب على الإنسانية أن تحني له رأسها»(٢).

٣- ٨-٢ تأكيد الهوية العربية للشعب الجزائري:

اهتمت صحيفة البعث بهوية الشعب الجزائري، بسبب الرابط القومي العربي والاعتقاد الثابت أن القضايا العربية كلٌ لا يتجزأ، فبقدر ما تعني الثورة الجزائرية الجزائريين، فإنها تعني أيضاً جميع العرب، في مشرقهم ومغربهم، ونضال الجزائريين هو جزء من نضال الأمة العربية كلها على طريق العمل التحرري القومي الإنساني. لذلك فهي عندما تتحدث عن الشعب الجزائري تستعمل هذه الصيغة «شعبنا في الجزائر» أو «عرب الجزائر».

وعندما تتحدث عن الإرهاب الفرنسي تؤكد أن هذا الإرهاب إنما يرمي إلى قتل الروح القومية العربية في الجزائر. ولذلك «فإن الثورة الجزائرية قد استمدّت روحها من المنبع الرئيسي للنهضة القومية العربية التي تشمل شمال إفريقيا والشرق الأوسط»(٣) .

---

(١) صحيفة البعث، العدد ٠٥، تاريخ ١٨/٠٥/١٩٥٦، ص٣.

(٢) صحيفة البعث، العدد ٢٨، مصدر سابق.

(٣) صحيفة البعث، العدد ٠٥، مصدر سابق.

«إن كل إمعان من قبل فرنسا في السياسة الاستعمارية إن كان يوقع ضرراً في عرب الجزائر فهو يوقع في مصالح الشعب الفرنسي أضعاف هذا الضرر. نحن اليوم في قلب التاريخ الإنساني، نؤثّر فيه أكثر مما نتأثر به. فهل قدّرنا الموقع الخطير لثورة الجزائر في هذا النضال؟»(١).

إن الاستعمار الفرنسي يشنُّ حرب إبادة على الشعب العربي في الجزائر، وبقدر ما نساهم في مساعدته ليتحرر من المستعمر يكون نضالنا ضد الاستعمار صادقاً وشاملاً ومعبراً عن تجربتنا القومية التي هي تجربة الإنسانية.

ولقد كان للشعر في الصحيفة أيضاً وقفة اعتزاز بالإنسان العربي وبطولته في الجزائر كقصيدة الشاعر، علي الحلي بعنوان: (ليل الجزائر) وهي مهداة إلى البطل العربي المغوار، الثائر المجهول في الجزائر.

من هذه القصيدة:

وفمُ الثار
وخطى النار
ودمُ الغادين الثوار
وحداءُ يتامى الأحرار
وقرانا في السفح الهاري
ودمُ الأطفال الأبرار
سيعصبُ أحداق الليل
وتمزق أشداق الهول
وتلطخ أوضام الويل

---

(١) صحيفة البعث، العدد الثامن، تاريخ ١٩٥٦/٠٦/٠٨، ص١.

بدماء الصرعى كالسيل

ويشيد للباغي قبره

في الأرض الحمراء الحرة[1]

وهكذا وعبْر هذا التوجه عملت صحيفة البعث على خلق وعي وحدوي إذ أوحت أن معركة الجزائر هي معركة الأمة العربية وأن انتصار العرب فيها سيؤدي إلى التقاء المشرق والمغرب في وحدة عربية كبرى..

٣ – ٨ – ٣ مكانة الثورة الجزائرية:

تناولت صحيفة البعث الثورة الجزائرية بفكر عميق ووعي سبّاق لم يرد له مثيل في الصحف الأخرى. فقد أبصرت فيها بناءً فوقياً من طراز جديد له منظومة قيمة القائمة بذاتها وذات الأبعاد الإنسانية الشاملة، فعرّفتها بأنها فلسفة في النضال، أي جوهر ومرجع، لم تأخذ من أية ثورة ولم تتأثر بأي ثورة. وإنما خلقَ واقعُها فلسفةً نوعية قريبة من الناس قريبة من الشعوب السائرة نحو الحرية والتحرر. هذا العمق الإنساني جعل الثورة الجزائرية مرجعاً للمناضلين ضد الاستعمار والظلم، وفي سبيل حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

«إن الثورة الجزائرية هي من صنع الجزائريين أنفسهم، ولا ترتبط بأية جهة. وإن الجزائر المحاربة تملك رؤوساً سياسية نيّرة. ولذلك لم يكن ممكناً إخمادها، كما كان يمكن أن يحدث ذلك فيما لو كانت فوضوية، وجيش التحرير استطاع في سنة واحدة أن يحلّ محلّ جميع الأحزاب السياسية الموجودة منذ عشرات السنين»[2] .

---

(١) صحيفة البعث، العدد ١٩، تاريخ ١٩٥٦/٠٩/٠٧، ص٣.

(٢) صحيفة البعث، العدد السادس، تاريخ ١٩٥٦/٠٥/٢٥.

«إن الثورة الجزائرية إنما تهدف إلى أن تحصل قبل كل شيء على الحقَ المقدّس، حقّ الشعب في الاستقلال. وحين تنتصر الثورة قريباً ستزول بقايا النظام الإقطاعي التي استمرت حتى الآن بسبب الاستعمار، ولن تكون الدولة الجزائرية ملَكيّةً ولا دولة دينيّة»(١).

وباتجاه آخر لم تهمل صحيفة البعث التصدّي للدعاية الفرنسية الاستعمارية، وتعرية كوامنها الهمجية، ففي افتتاحية العدد رقم ١٩ تاريخ ١٩٥٦/٠٩/١٧ كتب ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث العربي يردّ الدعاية الفرنسية على أعقابها بسخرية واضحة:

«يُعدُّ الاستعماريون الفرنسيون كل الوسائل والأسلحة المادية والمعنوية للاعتداء على الوطن العربي ومحاولة ضرب النهضة العربية وتأخيرها. ومن هذه الأسلحة الصدئة التي ينبشونها من مستودعات دعايتهم المسمومة، سلاح الطائفية، والعنصرية، والإقليمية. ومازالوا يُصوّرون ثورة الشعب العربي في الجزائر على الذل والظلم وأبشع أنواع الاستعمار بأنها حركة رجعية يدفعها التعصّب الديني، وتغذيها الروح الفاشية. ولعل التاريخ لم يعرف حتى الآن مغالطة وتجنياً مفضوحاً على الحقيقة، واستهتاراً بالعقل والمنطق بلغ الشأنَ الذي بلغته دعاية الفرنسيين عندما يسمّون النضال العربي للتحرر من الاستعمار عدواناً وإرهاباً»..

ثم يلفت «عفلق» الانتباه إلى حقائق تاريخية ملموسة، وهي أن العرب يجتازون مرحلة تاريخية يرافقهم فيها الحق والحرية كأنهما قدر محتوم، وهذا ما يفسِّر انتصار جميع الشعوب لأحرار ثورة العرب البطولية المشرفة في الجزائر.

وهذا في حد ذاته ظاهرة كافية لدحض الدعاية الاستعمارية المتهافتة، إن ما يهمنا هو أن نربح المعركة في نضالنا ضد الاستعمار دون أن نفرِّط بشيء من اتجاهنا القومي الإنساني.

---

(١) المصدر نفسه.

واستطاعت صحيفة البعث أيضاً أن تصوّر بدقة تأثير الثورة الجزائرية على الشعب الفرنسي ذاته، وعلى الوعي الواقعي فيه، إذ أوضحت أن كل كلمة تقال في فرنسا، وكل موقف يتخذ، إنما تكمن وراءه مصالح حيوية، فتظاهرات الشعب الفرنسي ضد الحرب في الجزائر ليست مجرد مثالية مجانية، بل هي تعبير عن مصالح واقعية لهذا الشعب نفسه، وهذه المصالح ذاتها تصرخ وتصرخ يجب أن تستقل الجزائر وأن تتخلص فرنسا من الاستعمار.

«هم لا يهبِونَ الاستقلالَ للجزائر، بل يطلبون تحرّرهم من عبء استعمارهم للجزائر يطلبون التخلص من أوضاع ستؤدي بفرنسا إلى الانحلال المحقق»(١).

لذلك فإن كل إمعان من قبل فرنسا في السياسة الاستعمارية إن كان يوقع ضرراً في عرب الجزائر فهو يوقع في مصالح الشعب الفرنسي أضعاف هذا الضرر، وسيلحق بفرنسا الهزيمة الحقيقية.

٣ – ٨ –٤ انتقاد الأنظمة العربية:

كان موقف صحيفة البعث من الأنظمة العربية، تجاه الثورة الجزائرية، موقفاً معارضاً وجريئاً، وإن لم يكن بالحدة التي اتسم بها موقف صحيفة المنار من هذه الأنظمة. هناك نصوص ناقدة تفضح تقصير هذه الأنظمة، ونصوص تحاول إيقاظ الروح القومية لدى الحكام العرب. غير أن هناك نصاً غاية في الحدة وجّهته الصحيفة بمضمون مباشر إلى الحكومة السورية بالذات يضعها بمرتبة الخيانة وأكثر تجاه سماحها بتموين الجيش الفرنسي بالحبوب السورية والثورة ملتهبة في الجزائر.

---

(١) صحيفة البعث، العدد الثامن، تاريخ ١٩٥٦/٠٦/٠٨، ص١ و٣.

«إن سورية تزوّد الجيش الفرنسي في الجزائر بالحبوب، هل يمكن لمواطن أن يصدق ذلك؟![1]... الاستعمار الفرنسي الذي يشن حرب إبادة على الشعب العربي في الجزائر، تغذيه سورية، ذلك من فوق العجب»[2].

ترجع دهشة الصحيفة إلى التناقض الذي تجاوز كل الحدود بين موقف الشعب السوري الذي كان يجمع التبرعات للثورة الجزائرية ويرسل المتطوعين وبين موقف الحكومة المعادي للثورة الجزائرية بصورة التفافية لذلك فإن الصحيفة لم تجد تعبيراً يصف هذا الموقف بغير موقف «فوق الخيانة». إذ كيف يمكن لشعب بلغ تعاطفه مع الثورة الجزائرية أقصى مداه، أن تحكمه حكومة بهذا المستوى؟!..

«ذلك من فوق العجب... بل ومن فوق الخيانة، الذي لا يصدق صار واقعاً وما فوق الخيانة صار واقعاً»[3].

وتتضح حرارة الصحيفة أكثر عندما تكشف للرأي العام في القطر العربي السوري أن الحكومة استبدلت في رخص تصدير الحبوب كلمة (فرنسا) بكلمة (الجزائر)، وكأنما هذه الحبوب تصدّر للشعب الجزائري، وليس إلى الجيش الفرنسي الذي يبيد الإخوة الجزائريين. مع ملاحظة لابدّ منها وهي أنّ الصحيفة تجاهلت أن الحكومة السورية باعت القمح لفرنسا ولم تصدّره مجانا.

---

(١) عمّت التظاهرات جميع المدن السورية احتجاجاً ضد الحكومة السورية، وكان لعمال مرفأ اللاذقية موقف مشرف إذ امتنعوا عن شحن الحبوب، وهددوا بالصدام مع أية جهة تحاول نقل الحبوب إلى البواخر، وقد أدى ذلك إلى إيقاف الشحن نهائياً وسقوط الحكومة فيما بعد. (المؤلف).

(٢) صحيفة البعث، العدد السابع، تاريخ ١٩٥٦/٠٦/٠١، ص١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

٣ – ٩ دلالات العناوين:

أوضحنا من قبل أن العناوين الخاصة بالثورة الجزائرية في صحيفة البعث، كانت أ ضعف مما يستجيب لطبيعة النص، إذ كانت صيغة العناوين لا تصوّر الفكرة الرئيسية للمضمون، وهو ما يشترط بالعنوان كأحد خصائصه. ويعود ذلك إلى قلّة خبرة العاملين بالفن الصحفي وعدم وجود تخصصات صحفية في المعاهد والجامعة

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم العناوين إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: لا يبدو فيها أي ترابط مع المضمون.

المجموعة الثانية: جاءت دلالاتها وسطاً.

المجموعة الثالثة: تطابقت دلالاتها مع المضمون.

من عناوين المجموعة الأولى:

لا رجوع ولا تراجع

فرنسا بين الدم والفلوس

من التدقيق في هذين العنوانين يتضح أنهما لا يوحيان أبداً بأن المضمون سوف يتحدث عن الثورة الجزائرية أو عن حدث خطير يلفت الانتباه. وحتى كلمة فرنسا في العنوان الثاني ضعيفة الإشارة..

فقد كانت فرنسا منهمكة في الوقت نفسه بعملياتها الاستعمارية في كل من تونس والمغرب، ففي أي مكان هي فرنسا بين الدم والفلوس؟!..

وفي المجموعة الثانية نقرأ هذه العناوين:

هذا ما تفعله فرنسا بشعبنا في الجزائر..

ماذا ترك الحكم الفرنسي في الجزائر؟

أسرعوا بحل قضية الجزائر..

هذه العناوين تفتقر إلى الصراحة والوضوح اللذين هما من خصائص العنوان، وكل التباس أو غموض في العنوان قد يؤدي إلى فهم ضعيف للموضوع وأحياناً إلى فهم معاكس.

إن كلمة (هذا) في العنوان الأول لا تشير إلى شيء محدد، وقد يكون أي شيء. لكننا إذا قلنا. الإبادة.. هذا ما تفعله فرنسا بشعبنا في الجزائر، فلأن الأمر يتضح للقارئ ويجذبه لمتابعة قراءة المضمون.

والأمر نفسه فيما يتعلق بكلمة (ماذا؟) في السؤال الثاني ثم (ترك) في الكلمة التي تليها. فالعنوان يوحي في البداية أن فرنسا قد خرجت من الجزائر، فماذا تركته بعد حكمها لها؟ ثم إن التساؤل في كلمة ماذا لا معنى له هنا إطلاقاً، فالكل يعلم أن في الجزائر ثورة على الظلم والوحشية الاستعمارية الفرنسية. فلو قلنا مثلاً: قهر الشعوب هو مبدأ الحكم الفرنسي في الجزائر لكانت الصورة أوضح والدلالة أعمق..

أما العنوان الثالث في المجموعة الثانية فيظهر أكثر غموضاً، ذلك أننا لا يمكن أن نعرف من هم هؤلاء الذين تناشدهم الصحيفة للإسراع بحل قضية الجزائر. هل هم الحكام العرب؟!.. هل هم زعماء الدول الأقوى؟ هل هي الأمم المتحدة؟ كل هذه التساؤلات تتداعى في ذهن القارئ. ولابد أن يتساءل من هم المؤهلون لحل قضية الجزائر؟ وهل هؤلاء بانتظار الأمر من الصحيفة للقيام بحل قضية الجزائر؟ إن العنوان هنا يفتقد النداء والمناشدة. فلو قلنا مثلاً: يا أحرار العالم سارعوا لنصرة قضية الجزائر لكان الوقع أفضل، ولكانت الدلالة أبعد وأعم.

على أن المجموعة الثالثة من هذه العناوين تتميز بالفعل بكثير من جمالية الفكر والحس وحسن الأداء، وكمال الشكل والمضمون، وأول هذه العناوين:

الثورة الجزائرية فلسفة في النضال.

وقد شرحنا دلالات هذا العنوان، عندما تناولنا مكانة الثورة الجزائرية التي أثبتتها الصحيفة بأنها جوهر ومرجع..

وكان العنوان الثاني أيضاً غاية في الدلالة، إذ جمع بين العزة والتفاؤل. الاستماتة في سبيل القيم التي تحوّلت في الإنسان الجزائري إلى قوة مادية محركة، ثم تأكيد الانتصار بالقضاء على الاستعمار الفرنسي نهائياً.

الشعب المستميت في سبيل حريته.

سيقضي على الاستعمار الفرنسي.

وأما العنوان الثالث فكان عنواناً قائماً بذاته، ثلاث كلمات بلغت في دلالتها أبعد الحدود. ثلاث كلمات هي منبع للإثارة والذهاب بمخيلة الإنسان إلى أقصى ما يتصور وما تحرك فيه من مشاعره.

إعدام فدائي بالمقصلة...

هو العنوان الوحيد الذي وردت فيه كلمة فدائي. وظلت بقية العناوين، وكذلك المضامين خالية حتى من كلمة (مجاهد) أو كلمة ثائر..

وفي الخاتمة لابد من التساؤل: لماذا كانت صحيفة البعث مقصّرة في صياغة عدد من العناوين؟

توضح الصحيفة منذ البداية أن العاملين فيها لم تكن لديهم ممارسة صحافية من قبل، ولم يكن بينهم صحافي محترف، وإنما جمعت الصحيفة خيرة مثقفي الحزب الذين قاموا بمهمة التحرير وتأدية الرسالة الإعلامية. هؤلاء لم تكن لهم الخبرة الكافية في مجال الأنواع الصحافية لاسيما في مجال قدرة وقوة العنوان وأهميته كنوع صحافي. كان أمامهم أن يجتهدوا بقدر المستطاع لتأدية رسالة ما آمنوا به من فكر قومي ووحدة عربية، فأحسنوا المضمون، وحالفهم التوفيق في بعض العناوين، وقصّروا في البعض الآخر..

٣ – ١٠ أسلوب المعالجة الإعلامية

حاولت صحيفة البعث أن تكون منبراً واضحاً في الدفاع عن الثورة الجزائرية وتأييدها بكل السبل والوسائل المتاحة لها، إذ كانت لسان التيار القومي العربي الذي اعتبر أن الحواجز بين العرب هي حواجز مصطنعة، لذلك فإن أية ثورة عربية سواء أكانت في الجزائر أم في اليمن فهي ثورة عربية بالدرجة الأولى. ولهذا كان الدافع الأساسي للاهتمام بالثورة الجزائرية هو الرابطة القومية، رابطة العروبة بين الأشقاء في مشرق الوطن العربي ومغربه. ولم يكن الدافع الديني وراء نشر أنباء الثورة أو التغطية الإعلامية الصرفة. ومع ذلك فكما صحيفة المنار ذات الاتجاه الإسلامي استعملت العبارات القومية فقد وردت في صحيفة البعث كثير من التعابير التي تؤكد أن الشعب الجزائري هو شعب مسلم: «وأكثر المسلمين في المدن مرغمون على العيش في بيوت من التوتياء» أو «إهدار حق السكان الجزائريين من العرب المسلمين»..

وهناك أيضاً دافع إنساني في المعالجة الإعلامية يظهر عبر مخاطبة الأحرار في العالم للوقوف إلى جانب الثورة، وكذلك على أساس أن القومية العربية هي قومية إنسانية، وهو ما عبّرت عنه الصحيفة بقولها: يهمنا أن نربح المعركة في نضالنا ضد الاستعمار دون أن نفرّط بشيء من اتجاهنا القومي الإنساني.

أما من حيث التأثير على القارئ فقد استخدمت الصحيفة أسلوب الإثارة العاطفية، وكذلك أسلوب الإثارة الجماعية، وقد تميّز أسلوب الإثارة العاطفية، بتركيزه على المشاعر الوطنية والقومية ومخاطبة الفكر أحياناً في توصيف المشاعر القومية بالعقلانية والإنسانية مستفيدة من الجو الحماسي العاصف للثورة الجزائرية الذي كان يسود الشعب العربي السوري في تلك المرحلة من تاريخه والذي أبدى كل التعاطف في مؤازرة الثورة الجزائرية. حيث كانت تدين العدوان الفرنسي الوحشي ضد الأبرياء وتمجّد في الوقت نفسه بطولات الشعب

الجزائري وتقدّر بكل احترام تضحيات الثوار وتقف إلى جانب جبهة التحرير الوطنية الجزائرية وتبارك أعمالها.

أما أسلوب الإثارة الجماعية فقد توجه بكل قوة نحو توحيد جماهير القطر العربي السوري للتصدي لأخطاء الحكومة والأنظمة العربية بصورة عامة، وكذلك لدفع هذه الأنظمة نحو الوقوف بحزم إلى جانب الثورة الجزائرية، وعدم الرضوخ إلى ابتزازات القوى الاستعمارية المعادية لحرية الشعوب.